# الأيام الأخرى أيضا

قصة بقلم سركون بولص

كانت الشمس كالمعدة ، يتسرب من ثقوبها عصير فاتر سقيم فيه رائحة المطاط والشوارع المرشوشة والدكاكين والسينما ، وكانت معزولة عن الناس ، وكان القرف ينتشر في نفسه كمحلول الفولاذ . وغرق يوسف في الهواء المبرد الذي يتجمع امام السينما ، وتفرج على الصور التافهة التي خلف زجاجة العرض ، ونقل بصره من الحائط الى الرجل والمرأة . وكانا يتفرجان ، وكان الزوج يعرفه وكذلك المرأة . وانتظر . وكانت افكاره تتجه في غموض الى خارج المكان ، ولكنه كان مشوشا بسبب انشغاله ! كان منشغلا يهييء نفسه لتفاهة القربى : سينظر الرجل اليه لحظة ، ثم يدهش ، يرفع حاجبيه ، ويصافحه ويتكلمون ، هو ويوسف والمرأة . وكان قد امضى النهار يقتل الذباب بمضرب ذي فيضة زرقاء ، وكان ينظر الى الذبابة وهي مخمورة ، ثم وهي تسقط وتجمد . وقد ارتفع الى حنجرته بشدة ، حيوان دقيق من الامعاء عندما ضرب ذبابة فتعلقت بذراع الكرسي بأحشائها القذرة التافهة ، وضربها في جنون حتى ضاعت . وكان يتماسك ويواجه القيء . وبعد ذلك قام بالحركات اليومية التي تتأتى في العصر دائما : اغتسل ، ومشط ، وخرج . وكان يفكر بأن في الغسق الوردي عاصفة غبار . وقد اشترى ايضا فستقا بعشرة فلوس ، من زنجي بنفسجي ذي بنطلون اصفر . كما لاحظ ان تنورة امرأة قد انفتح شقها الاسفل الذي في وسط الركبتين اكثر من اللازم ، وكانت الخياطة مفكوكة تبدو بوضوح ، وكانت الساقان على شكل فستقتين خرافيتين ، والردفان غامضين يضلعان في بعضهما ويتكتلان . وسار خلف المرأة مسافة مناسبة حتى ابطأت فمر بها فنظرت اليه بأجفان مبتلة رخوة : كانت شفتاها ترغوان بالصبغ الحار .

وفكر يوسف بأن يذهب . وكان الرجل قد اخرج سيكارة فأشعلها، وكانا لا زالا يتفرجان ، وكان في وجه الرجل انطباع غليظ كقطعة آسنة من العشب المشبوك ، ولم يكن يتعجل شيئا ، وكان قريبا ليوسف ، من جهة ما ، وكان بالغ الزيف والتأدب . ولكنه كان مزعجا الى حد حيواني عندما يتكلف انه شاب ، كلما جالسه . وفكر يوسف بهذا فشعر باحساس الهرب يتشعر داخل عنقه ويصبح كالاسفنج . ووضع يده على الحائط البارد وقد ادار رأسه تماما عن الرجل ، كان الرجل يتجول بهيئة ملولة تافهة كأنه في دكان يشتريه . وفكر يوسف : لن يقطع البطاقتين الا بعد ان يقتل المسألة تأملا . وكان يعرف تعبير الرجل جيدا ، تعبير الرجل الذي يرد قائلا ، في فظاظة عالية : انني اعرق لاحصل على نقودي ، ولست جالسا على فاصة اموال . ويكون باسما ايضا في نذالة متدينة ، ويضيف انه من حقه ان يفحص الفلم قبل ان يلقي بنقوده . وهو يعتقد انه بالفعل نموذج لشاب مثل يوسف . ولسوف يقول هذا ، ويقول ايضا اشياء اخرى بخصوص الفشل ، وكل هذا موجه ليوسف بالطبع ، ولكن تحت الابتسام الذي يرشه الموظفون على وجوههم . وادرك بفظاعة انه سيخسر المساء ، ولكنه فكر : على كل حال ، كالايام الاخرى . وكان حين يفهم انه يغوص في فراغ غباري ، وانه يقتل الزمن بسرعة يائسة مملة ، يدرك كل شيء فجأة ، ويشعر بأنه يتساقط الى قعر جاف من السادية والغموض وانه ، خلال تساقطه نفسه ، يتكتف ويعانقه غطاء من الكلس العفن لا يلبث ان يتصلب حوله .

كانت الشمس في الهواء ، وكانت هناك قارورة ضخمة من الشربت البارد وراءها بائع بدين . وتحرك من امام الزجاجة ومر بالشبان المتسكعين في جانبه وبجماعة من رجال ذوي عقالات على رؤوسهم كانوا يقررون ان كانوا سيدخلون ، وكانوا قد جاؤوا من البادية ولا بد أن يجلسوا في سينما . ولم يره الرجل قريبه ، وسره هذا . وشرب الشربت وهو يأمل في ضآلة بان يخرج قريبه ويراه . وكان يحب أن يشم رائحة زوجة . وسوف يلذ له أن يكلم مع زوجة الرجل ، ان تسلم عليه على الاقل وان تصافحه . وكان يمر في الشوارع ، كل يوم ، بعاطفة عمياء كبركة طين . وقد يئس من النساء فكان يفكر بانهن مخصوصات ومن المستحيل أن تلمس امرأة أو فتاة عذراء الا اذا ذهبت الى بيتها وعقدت مع اهلها اتفاقا ما . وكان مشوش الاراء عن كل شيء وقد اختلطت لديه افكاره عن النساء ، فبقي على الحافة . وفكر : سيشاهدان الفلم ثم يخرجان . وغرضهما ، بالطبع ، هو ان يثيرا العاطفة الميتة فيهما . ونظر الى المرأة . وتصورها رأسا وهي في الفراش مع زوجها الهزيل المقرف. وكان يذكر انه قد اشتهاها عند رؤيته لها للمرة الاولى ، منذ شهور . وكان يفكر بها في حمى . وقد استمر ثلاثة ايام يفكر فيها ، وكانت قد زارت اخته المتزوجة وبقيت لديها يوما واحدا . وقد لبست في الظهيرة قميص النوم الصيفي وانحنت لتأكل فرأى نهديها الطليقين بوضوح يتدليان من المنامة العريضة . وقد ادركت هذا فرفعت احدى يديها وادخلت الثديين تحت القميص واصفر وجهها . ثم دخلت الحمام ورأى ذراعها من نافذة الباب العالية ، ورأى انعكاسات جسمها العاري من تحت الباب على الكاشي المبلل اللامع . وكانت تيارات براقة من الجنس تمرق في جسمه وتخلف في جوفه شارعا من النار . ونظر اليهما الان من بعيد وكانا قد ابتعدا في قاعة السينما الخارجية التي يدخل اليها الناس ويخرجون مجانا . وشغل نفسه بهما ، وانفتحت حياتهما امامه بكل ابعادها المزمنة كمطواة رخيصة تهرأت من الصدأ . وكان الرجل يشتغل في دائرة . وكان يعود ، وكان يتكلف التعب الزائد على وجهه الجرذاني العائلي . ويخلع رباطه وقد يأتي ببطيخة صفراء في يده . ثم يأكل كما فعل قبل يوم . ويتكلم مع المرأة عن كل شيء بطريقة تميت الحيوية وتبعد اللذة بحتمية واضحة . وفكر يوسف : انهما ميتان ، بصراحة . وكل ما يملكانه هو زاوية صغيرة وتافهة جدا قد يعرفان قيمتها حقا وقد لا يعرفان ، وهي ان يناما معا ، ولكن لماذا هذا القرف الضائع وهذه السفالة الانسانية التي لا معنى لها ولا مظهر وكل ما هنالك انهما يتضاجعان ولكن حتى هذا يقومان به على انه مشكلة تنتظر الحل . وكانت التلميذات يسرن على الرصيف ، وكانت المدارس مقفلة والصيف طويلا والثياب تنتشر كالاغاني على الاجساد الانثوية . وكانت الفتيات وحيدات مع انهن يسرن مع بعض . ولحمهن كلحم خوخة . والشمس متكئة على رأس عمارة ، كحيوان نهري مدور . والشوارع مغطاة باسفلت تغطيه بدوره بقع رخوة من جلد الشمس . وتذكر بلا سبب نهارا اصفر جدا ، وكان يمشي مع تلميذ وكان هذا التلميذ لئيما بصورة لا تحتمل وطيبا جدا ايضا ، كان شاذا كالفحم . وقد شتم يوسف أم الشمس فقال التلميذ عن الشمس انها اصيبت بالاسهال . وتذكر يوسف

الوجه ذا الانف الطويل الميكروبـــي فأدرك ان ملامح التلميذ كانت هازلة جدا .

نظر الى الرجل ايضا ، وكان يقترب وزوجته الى جانبه .واستعد يوسف فوقف امام الدكان وفدح الشربت في يده . ونشر على وجهه اقرازا من الشرود والتأمل . وكان هذا ما يحدث دائما كلما التقـى بشخص يعرفه . وكان يفكر في داخله بانه يخشاه بصورة غامضـة . وكان يكرهه ويحس بالاحتقار كلما رآه . وقد تخيل يوسف ، في كل مرة ، انه يضربه في برود ضربات هادئة صلبة في بطنه . وكان يتخيل عينيه جاحظتين في حفارة عارية لم تعد تتقنع . ولم يكن يدرك سبب هوسه هذا . ولكنه كان يستخرج من فم الرجل اعترافا بكل شيء . وكان يوسف يضربه ضربات مفاجئة هائلة بقبضته الى وجهه المفـزوع، وكان الرجل يستسلم اخيرا دائما وينهار فتنهار معه زوجته ، وطبقته، ومواعيده ، وشغله ، وابتساماته واصدقاؤه وشركته وكل العالم الزائف الذي يتغذى من الدوائر ، ويتصنع ، وينمو جيداً . وكان يرتاح بشكل غريب حين يتطور بجذور تفكيره الى هذا الحد . وسره ان يفكر : انني اعرف كل شيء عنه . ولم يعد اي شيء قادرا على أن يصمد أمـــام بصيرته وذكائه . وكان يراهما وهما يتضاجعان ، فيقهقه . انني اعرف كل حركة ، ايها الكلب . وكان يتخيل الرجل امامه ، يائسا ومنفوشـا من العذاب لان يوسف أمامه كالقدر ، عارف ، حكيم وشاب وغير ممكن ان يصبح عجوزا في يوم من الايام . وكان يفرغ بان يعتقد بانه خـالد جديا . وكانت هذه حقيقة ، لانه كان اذ يفكر هكذا ، يتسلط كالشبـح على الحياة كلها في المدينة المضلعة . وكان قريبه وزوجته نموذجـا للسرور المخذول . وكان الجميع مثلهما ، دونما اي شذوذ عن القاعدة ، اللهم الا الشبان النحاف مثله الذين يبصرون المذلة الباكية في كـــل شارع ، وفي السينما ، والاعلانات ، والوجوه ، بغيظ . وكان يتغـذى بهذا الى اقصى حد ممكن. وكان يعرف انه مخبول وفائض عن الناس ، ولكن احدا لم يكن ليستطيع ان يجرؤ على ان يقول هذا في وجهه . وكانوا اوغادا وتاعسين ، كاشخاص السينما . وكانت حيانهم بالضبط دورة متقنة دقيقة نهايتها موت تافه . ولكنه كان سيموت ايضا ، ومع هذا فقد كان يعرف بانه سيموت موتا « حيا » . وكان يشعر في جوفه بانه كالح السحنة يدور في عاصفة صحراء . ودنا قريبه وهو يتكلـم مع المرأة . ثم التفت فابتسم وسلم على يوسف وقال : كيف الحال ؟ وابطأ قليلا ثم استعاد خطواته برشاقة آسفة . وكانت المرأة قد نظرت الى يوسف نظرة نشطة . وكانت النظرة السافلة المعروفة : تتوقع ان ترى شيئا شاذا في هيئته حتى تنتبه له ، كزنبرك مثلا يقفز من اذنه ، العاهرة . ونظر وراءهما بغثيان ، ولكنه كان يعلم انه يلتهـب وان الغثيان شيء سطحي ، وانه سيزول . وكره نفسه . وفكر ضاحكـــا : ساقتله . وانتشرت افكاره المجنونة الاعتيادية في رأسه كالجرذان ، وانتقلت حتى اقصى صدغيه واذانه . وشعر بان صفيحة جافة مليئـة بالغبار تتقصف داخل بطنه ، ولكن بصورة تهريجية لا يمكن ان تكـــون فيها مسحة آسية . ورآهما ينزلقان على الشارع ، فوق طوفان افكاره الدموي ، تافهين ، ضخمين كائنين من القرود ، يغطيان هيكله لئلا يراه اي انسان ، او يسمع صوته ، او يفهمه .. وشعر بظلم طاغ . وكانـا غير جديرين باي شيء ولكنهما يحصلان على اشياء وفيرة ، وكانـــا بليدين ولكن الناس يعجبون بهما ، وكانا حيوانين وكان يوسف يشعـر بانه رجل جاف ذو شعر اغبر مختبىء في ثقب قذر ، مع الاسمـــال والعظام . وشم رائحة زبل . وكانت افكاره قد تشوشت ، كطيـــور مذعورة . ومرت به فتاة صاحية درست حركاتها جيدا قبل ان تخرج . وفكر : سيقع النذل في يدي ذات يوم . وتصور نفسه يعامل الرجـل كقواد مقبوض عليه . وعادت اليه مشاهد الضرب . ولكنه صحا فجأة . صحا بقوة دنيئة فرأى نفسه كالبومة ، صبيانيا وجامدا وغريبا جـدا . وادرك انه وحيد بشكل هائل . ولم يكن يعمل . وكان صباحه كنهـاره وليله . وكان يأكل ويشرب كالطفيلي في بيت اخته . وكان هذا مدمرا، لانه شعر بان قسما من جسمه يفرغ ، كعلبة سردين قلبت على جنبها . وتجول بخطوات راكدة تغوص وتخرج ، تغوص وتخرج . ورأى النـــاس فوقه ، على الجسر . ودخل من النفق الغامض الذي تحت الجسر ، وخرج الى الناحية الثانية حيث العوائل الفقيرة تجلس على العشب ، والصعاليك ، والعاهرات ، والشيوخ والرجال العاطلون ذوو الثيـاب البالية . وكانوا يحدقون في النهر ويتحدثون بثقة، وكان امثال قريبه يمرقون في سيارات لامعة من الحديد البارد . وتخيلهم ذوي اجسـاد معاكسة للشفقة . وكانوا يمرون من الشارع والفقراء ينظرون اليهـم بحكمة . وكان الاطفال والنساء والرجال جميعا جائعين جوعا سخيفا ، وكان يشعر بنشوة داهمة تجاه كل انسان مترف ، فاقترب من النهـر دون اي مبالاة . وكان في هذه الحالة يكف عن التفكير . وكان يتحـرك دون اي اهتمام ، كانه بلغ منطقة من الرمل البارد في دماغ الانسـان تشغله عن اية فكرة . ونظر الى النهر ، ومر بعينيه على ظهور الاطفال القابعين على الشاطىء . وكان قاربان يتسابقان خلال الالسنة الخضراء النحاسية التي تمدها الشمس على المياه . ولم ينظر الى ابعد مـــن القاربين ، فلم ير الشاطىء الاخر ، وظل فترة طويلة يرمق النهـــر . وحين سار مبتعدا وعاد الى الرصيف كان يفكر في خبث بقريبه ويتصوره مع زوجته في وضع بالغ السفالة . واعاد هذا كل مشاعره الى نفسه من جديد . وفكر : سانابع هذه . ونظر في ظهر الفتاة التي مرت امامه بخطوات رقيقة طفولية ، ثم نزل بعينيه الى ردفيها وابقاهما في البياض اللاهث الذي كان في اعلى ركبتيها . وكان شق تنورتها يبعث بالغموض في دفعات ، كانه يغمز . ووصل اليها ومر بها ونظر في وجهها . وكان فمها مغطى بصبغ وردي . وكان قد القى بنفسه ثانية في مشكلـة وجوده امام فتاة تنظر في ظهره . وارتبك بغرابة ، ثم اسرع وهـــو يتكلف مشية رائقة . ولكنه كان كالهارب من نفسه ، وكان في انفـه طعم السمك النيء .

كركوك ـ العراق

سركون بولص


## مؤلفات سيمون دو بوفوار

ق٠ل

- المثقفون ـ رواية جزآن
  ترجمة جورج طرابيشي ١٤٠٠
- انا وسارتر والحياة
  ترجمة عايدة مطرجي ادريس ٤٠٠
- مغامرة الانسان
  ترجمة جورج طرابيشي ١٥٠
- الوجودية وحكمة الشعوب
  ترجمة جورج طرابيشي ١٧٥
- نحو اخلاق وجودية
  ترجمة جورج طرابيشي ٢٢٥
- بريجيت باردو وآفة لوليتا ١٥٠
- قوة الاشياء ـ جزآن
  ترجمة عايدة مطرجي ادريس ١١٠٠